وإذا كان «نابليون» لم يشفق إطلاقاً حين أراق دماء الآلاف من البشر كي يحقق غرضه، وحين نهب «طولون» وأقام مذبحة في باريس، ودفع بنصف مليون رقبة إلى الموت في روسيا، فلماذا لا ينقض راسكولنيكوف على عجوز جشعة مثل «آليونا إيفانوفنا»؟.

بهذا المنطق نرى «راسكولنيكوف» يقدم على قتل هذه العجوز بطريقة في منتهى الفظاعة، إنه أخذ ساطوراً وهوى به على جمجمتها في بيتها. ولم يقف عند هذا الحد، بل إنه قتل أختها الطيبة «أليزابت» أيضاً[٥].

وفي «عناقيد الغضب» لـ«جون شتاينبك» يرسل ملاك الأرض جراراتهم لحرث الأرض وهدم منازل الفلاحين الفقراء على مرأى منهم، لا لشيء إلا لأنهم لم يستطيعوا أن يسددوا ديونهم ويرضوا أسيادهم بمحاصيل وفيرة، بالرغم من توسلات هؤلاء الفلاحين الذين يكادون أن يهلكوا جوعاً في الأرض التي استولى عليها أجدادهم وقاتلوا الهنود الحمر من أجلها وطردوهم منها، وولدوا عليها، وحرثوها، وزرعوها، ودفنوا آباءهم فيها. أقول: بالرغم من توسلات أولئك الفلاحين فإن الجرارات الضخمة أخذت تقتحم الحقول كغيلان «فطساء تثير الغبار، ثم تدس خراطيمها كالأفيال في الأرض، وتمضي تشق الإقليم في خطوط مستقيمة، لا توقفها الأسوار، ولا الأقنية، ولا وديان الأنهار.. ولا تأبه بالتلال والوهاد والأسوار، والمنازل، ومجاري الماء»[٦].

وفي «الإخوة كارامازوف» يؤكد «إيفان» أن «في قرارة كل إنسان وحشاً نائماً، وحشاً ضارياً مسعوراً يلتذ بسماع صرخات ضحيته»[٧]

ويجب أن نشير إلى أن الواقعيين النقديين اتجهوا هذا الاتجاه المتشائم من جراء ما كانوا يرونه من فساد اجتماعي وأخلاقي في عصرهم.

٢) ومن ميزات الواقعية النقدية أنها هجائية ناقمة على الأوضاع الاجتماعية والظروف التي نشأت فيها. وقد صب الأدباء الذين ينتمون إلى هذا المذهب جام غضبهم وانتقاداتهم خاصة على الطبقة الوسطى التي كان يدافع عنها أسلافهم الرومانتيكيون من قبل؛ وذلك لأن هذه الطبقة كانت